من ذلك . فهي لم تفشل في الوقوف الى جانب المستأجرين الفلسطينيين المضطهدين فحسب ، بل ذهبت الى اقامة اشكال حياتها «الديمقراطية» على ارض طرد منها هؤلاء المستأجرون . « اصبح اغتصاب الارض — وبكلمات اخرى انتزاع الارض من الفلاحين العرب — شعارا وطنيا . وكان يدعم هذه المغانم القانون الزراعي العثماني الذي يعود الى أيام الحكم التركي في فلسطين والذي ظل ساري المفعول خلال الانتداب البريطاني . وينص هذا القانون على ان المزارعين — المستأجرين لا يملكون في الارض اي حق كان . ولما كانت اغلبية الفلاحين العرب في فلسطين من المزارعين — المستأجرين الذين يعملون لدى ملاك الارض كما كان يفعل اجدادهم من مئات السنين، فقد مكن ذلك المنظمات الصهيونية (مثل الكيرن كايمت الخ) من عقد صفقات لشراء الاراضي من الملاك العرب الكبار الذين لم يكونوا في العادة يعيشون في البلاد . وعلى اساس الشراء بكميات كبيرة من ملاكي الاراضي ، استطاعت هذه المنظمات ان تحصل من المحاكم البريطانية على أوامر بطرد السكان الذين كانوا يقطنون قرى عربية بكاملها ويفلحون اراضيها منذ اجيال كثيرة ... وكان هذا الصراع على الارض والطرد القسري لسكان قرى عربية كاملة هو التربة التي نبتت منها معظم الصدامات بين العرب واليهود ، تلك الصدامات التي ملأت قلب الادارة البريطانية بالغبطة »(٩).

وعلى هذه الارض ، التي اشترتها الاجهزة الصهيونية الاستيطانية ، بنيت الكيبوتزات وقدمت الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي لهؤلاء « الاشتراكيين » رأس المال الابتدائي والمعدات ونفقات اقامة شبكات الري والكهرباء الخ. وهذه هي مثلا الطريقة التي لم تعد بها قرية العفولة في الجليل عربية : « وفجأة جاءت جماعة من الشبان اليهود ودعت الفلاحين الى التوقف عن العمل قائلة ان الارض اصبحت ممتلكات يهودية . استمر الفلاحون يحرثون ! وعندما اعترض اليهود الثيران وبدأوا بحل اربطتها من المحاريث ، نشب القتال وتطايرت العصي والحجارة في كل اتجاه . واجتذبت الصرخات والصيحات تعزيزات لكلا الجانبين ، ولم ينته المعترك الا بسقوط أحد العرب ضحية لرصاصة يهودية . ثم جاء البوليس و« أعيد النظام » واقتيد عشرات من العرب الى سجن الناصرة واقتيد من زاد منهم الى سجن طبرية »(١٠) وبين ١٩٢١ و١٩٢٥ استولى الصهيونيون مثلا على سهل كبير شرقي حيفا كان يسكنه ثمانية آلاف عربي في اثنتين وعشرين قرية « وكان على سكان واحدة وعشرين من هذه القرى ان يغادروا منازلهم ، ومنذ ذلك الحين لم يعرف مصيرهم اللاحق على وجه الدقة »(١١). وفي ٤ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ اعلن موشيه دايان في مقابلة مع الجريدة اليومية الاسرائيلية هآرتز : « ابتعنا الارض من العرب في مساحات كبيرة من البلاد . وبنيت القرى اليهودية مكان القرى العربية . وانتم لا تعرفون حتى اسماء هذه القرى العربية . وانا لا الومكم على ذلك ، لان كتب الجغرافيا تلك لم تعد موجودة . وليس كتب الجغرافيا فحسب ، بل والقرى العربية ايضا. لقد قامت نهلال مكان محلول وجفت مكان جبتا ومساريد مكان حنيفه وكفار يهوشوع مكان تل سمعان . وليس هناك مكان واحد بني في هذه البلاد ولم يكن فيه سكان عرب سابقا ... »(١٢).

هنا نجد حقيقة « القفار المعادية » التي كانت تنتظر الخلاص على يد العمل الصهيوني الاشتراكي . فبين الاماكن التي ذكرها دايان كيبوتزان هما مساريد وجفت . لقد اقيمت الكيبوتزات اليسارية الاشتراكية التابعة للمابام مشمرهاعمق ومرحفياه ومساريد في ١٩٢٦ واقيمت مزراع سنة ١٩٢٤ ، وجميعها تقع في منطقة يبدو انها تنطبق على المنطقة التي تقع فيها القرى العربية الواحدة والعشرون التي طرد سكانها منها في ١٩٢١ — ١٩٢٥ .

من المفيد بشكل عام ان ندرس قائمة الكيبوتزات اليسارية الاشتراكية ونلاحظ السنوات التي انشئت فيها . فعندما طرد ٨٠٠ الف فلسطيني ، معظمهم من الفلاحين في العام ١٩٤٨ انشئت كيبوتزات المابام التالية في السنوات الاربع اللاحقة (يجب ان نلاحظ ان الكيبوتزات الاشتراكية الديمقراطية وغيرها لا تدخل ضمن القائمة) : برعام ، برقاي ، بيت قاماه ، كرمياه ، دفراه ، عين دور ، جمش،

---

٩ — Meir Vilner: The Palestinian Problem and the Israeli-Arab Dispute, Tel Aviv 1969.

١٠ — Francis E. Newton: Fifty Years in Palestine, London 1948, p. 260.

١١ — باربر ، المصدر السابق ص ١١٧ — ١١٨ .

١٢ — هآرتز ٤ نيسان ١٩٦٩ .